الصوتيات التجويدية في كتاب التبصرة لمحمد بن أبي القاسم البوجليلي الجزائري

" الإمالة أنموذجا "

Tajweed phonetics in the book Al-Tabasirah, by Muhammad Ibn Abi Al-Qasim Al-Bujlili Al-Jazaery

« EL'emala » Exemple

نور الدين بن حامد، مالك بوعمرة سونة

[1] جامعة علي لونيسي البليدة2 (الجزائر)، الإيميل المهني: en.benhamed@univ-blida2.dz

[2] جامعة علي لونيسي البليدة2 (الجزائر)، الإيميل المهني: bouamrasouna.malek@gmail.com

تاريخ الارسال 10 / 01 / 2021.	تاريخ القبول29 / 03 / 2021..	تاريخ النشر15 / 04 / 2021.

الملخص		Abstract
يهدف هذا البحث إلى استخراج بعض المسائل الصوتية في كتاب التبصرة لمحمد بن أبي القاسم البوجليلي الجزائري، وهذا لإبراز مدى اهتمام العلماء الجزائريين بعلم الأصوات وبالصوتيات التجويدية على الخصوص، واعتمدنا في ذلك على بعض ما كتب الشيخ البوجليلي عن الإمالة في كتابه التبصرة، وقد أفضت نتائج البحث إلى أن الشيخ البوجليلي قد قدم إشارات مهمة في هذا الصدد، وأن علم الأصوات متجذر عند علماء الجزائر رواية ودراية لكنهم لم يكثروا التأليف فيه إلا نزرا يسيرا.		This research aims to extract some phonological issues in the book of al-Tabasirah by Muhammad ibn Abi al-Qasim al-Boujlili al-Jazaery, and to highlight the extent of the Algerian scholars 'interest in phonology and ''Tajweed'' phonetics in particular, This is the science in which the authorship is less, even though the scholars of the Maghreb - especially the Algerians - have worked by teaching it in schools and mosks. The results of the research revealed that this science is rooted in Algerian scholars, with knowledge and narration, but they did not increase authorship in it, except for a small number.

كلمات مفتاحية: الصوتيات، التجويد، الامالة، القراءات القرآنية، البوجليلي، الجزائر.		**Keywords :phonetics, intonation, El emala, Quranic recitations, Al-Bujlili, Algeria.**

المؤلف المرسل: نور الدين بن حامد، **الإيميل**: n_benhamed@yahoo.fr

1. مقدمة :

الصوتيات التجويدية مجال بحث اهتم فيه العلماء بما جاء في كتب القراءات والتجويد من مسائل صوتية تتعلق بمخارج الحروف وصفاتها، وكيفيات نطق كلمات القرآن الكريم نطقا صحيحا حتى توافق القراءة الصحيحة كما نزلت على صاحب الرسالة ﷺ مخافة التحريف والتصحيف لكلمات القرآن الكريم الذي جاء معجزة أذهلت جهابذة العربية وأرباب البلاغة آنذاك.

وقد حفلت الجزائر بعلماء كثر تحشموا عناء المحافظة على كتاب الله درسا وتأليفا، من خلال اشتغالهم بالتعريف بالقراءات الصحيحة المتصلة السند إلى رسول الله ﷺ.

ومن هؤلاء العلماء مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي الحسيني الذي ألف كتابه التبصرة في قراءة العشرة، تعرض فيه لجملة مباحث في التجويد. وقد استخرجت بعض ما ورد فيه من مسائل صوتية.

لقد تعرض كتاب التبصرة للشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي إلى مسائل صوتية عديدة كالإمالة والفتح والهمزات والضم في ميم الجمع والمد المتصل والمنفصل وغيرها، وفي هذا المقام سوف ننظر في بعض إسهاماته في هذا الباب، على وفق ما جاء في علم الأصوات ، الشيء الذي دعانا إلى صياغة إشكاليتنا بطريقة علمية تحقق لنا هذا المطلب.

وتنطلق إشكالية هذا البحث من خلال النظر في مدى اهتمام علماء الجزائر بالصوتيات التجويدية كعلم يهتم بالمسائل الصوتية المستمدة من علمي التجويد والقراءات القرآنية. لذلك يحسن أن نسوغ إشكالية البحث على النحو الآتي:

هل اهتم علماء الجزائر بالصوتيات التجويدية في مؤلفاتهم المتخصصة؟

وينبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات الجزئية الآتية:

إلى أي مدى وصل اهتمام الشيخ البوجليلي بالصوتيات التجويدية في كتابه التبصرة؟ وما هي الصور التي تجلى فيها هذا الاهتمام؟ وما مقام الشيخ البوجليلي في الدرس الصوتي التجويدي بالجزائر؟ كيف تعامل الشيخ البوجليلي مع الإمالة صوتياً في كتابه التبصرة؟

ويهدف هذا البحث إلى إظهار بصمة الشيخ البوجليلي في مجال الصوتيات التجويدية كمثال لجهود علماء الجزائر في هذا الفن. ولأجل تحقيق ذلك اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي لإبراز أهم المسائل الصوتية المبثوثة في كتاب التبصرة في قراءة العشرة، وخصصنا درس ظاهرة الإمالة بالبحث كأنموذج؛ ذلك

أن الدرس الصوتي التجويدي يستغرق وقتا طويلا وبحثا مستفيضا قد يضيق هذا المقال بحصر مكنوناته وتفصيلاته في صفحاته القليلة المحدودة.

2. التعريف بالإمام البوجليلي وكتابه التبصرة:

2. 1. التعريف بالإمام البوجليلي:

2. 1. 1. اسمه ونسبه:

هو مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي، نسبة إلى قرية بوجليل ببجاية، الحسيني نسبة إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما.

ولد الشيخ البوجليلي سنة 1867 ميلادية، وحفظ القرآن على يد والده، فختمه عليه ثلاث ختمات، ثم بعث به إلى زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي ليدرس ويقيم بها، وكان شيخ الزاوية وقتها الشيخ المقرئ مُحَمَّد بن يحي اليراتني، الذي غاب، فأناب عنه الشيخ قدور الدرعي، فبدأ الدراسة عليه وكان ذلك سنة 1259 هجرية، فجمع القراءات في سنتين، ثم انتقل إلى الشيخ العربي الأخداشي[1].

2. 1. 2. شيوخه وتلامذته:

تتلمذ الشيخ البوجليلي على مجموعة من الشيوخ كان لهم الفضل في تلقيه العلم نذكرهم بإيجاز على النحو الآتي:

- والده الشيخ أبو القاسم البوجليلي.
- الشيخ مُحَمَّد بن علي بن مالك التقابي.
- الشيخ مُحَمَّد العربي الأخداشي.
- الشيخ مُحَمَّد الطاهر الجنادي.
- الشيخ مُحَمَّد أمزيان بن الحداد.
- الشيخ قدور الدرعي المغربي[2].

---

(1) مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي، المصدر نفسه، ص50.

(2) ينظر: سمير جاب الله، الفقيه المقرئ مُحَمَّد بن بلقاسم البوجليلي وآثاره العلمية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 27، العدد 3، جويلية 2013، ص ص302-304.

وقد تخرج على يديه مجموعة من التلاميذ نذكر بعضهم على النحو الآتي:

- أولاده وأشهرهم أحمد.
- الطيب شنتير البوجليلي.
- الحسين آل عيسى (عيسات).
- الشريف الأفليسي.
- مُحَمَّد سعيد بن زكري.
- مُحَمَّد بن عمارة الأوزلاقي.
- سعيد اليجري (علي بن سعيد) [1].

2. 1. 3. مؤلفاته:

من أهم مؤلفات الشيخ:

- " شرح شواهد أبي يعلى على الآجرومية "، وقد كان هذا الشرح معتمدا في التدريس في بلاد القبائل، ويقع في حوالي 80 صفحة[2].
- " مجموعة خطب منبرية ": رتبها على حسب الشهور القمرية، حيث جعل لكل شهر خطبتين.
- " التبصرة في قراءة العشرة ": وهو مخطوط اشتهر به الشيخ وذاع صيته، وقد قام بتحقيقه الشيخ حسين وعليلي في رسالته للماجستير بجامعة الجزائر، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللغة والحضارة، بإشراف أستاذنا الدكتور مصطفى أكرور.
- " النور السراجي في إعراب مقدمة الصنهاجي "، أو كتاب المعرب، وهو كتاب في إعراب متن الآجرومية، وله نسخ متعددة، تزيد صفحاته على المائة (100) صفحة.
- " حاشية على كفاية التحصيل للشيخ مسعود ".
- " نعرة المريد ونصحه المحتفى المنتقد المعترض من الأحرار والعبيد "، وهي رسالة في التصوف، موجودة في مكتبة المخطوطات الخاصة بالأستاذ بلقاسم ضيف[3].

---

(1) ينظر: مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي، المصدر السابق، ص ص57- 60.

(2) علي أمقران السحنوني، مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي .. المعلم والمقرئ، جريدة العقيدة، العدد 72، الأربعاء 25 ديسمبر 1991.

(3) مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي، المصدر السابق، ص62.

2. 1. 4. وفاته:

ذكر الأستاذ سمير جاب الله أن الشيخ البوجليلي قد توفي– رحمه الله تعالى– سنة 1898م، الموافق 1316هـ[1]، وهو ما أقره الدكتور يحي بوعزيز في كتابه أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة.[2]

2. 2. التعريف بكتاب التبصرة:

هو كتاب جمع فيه الشيخ مُحَمَّد البوجليلي قراءة الإمام نافع برواياتها الأربع، وطرقها العشرة، وبيّن أصول القراءة النافعية، فبدأ بذكر شيوخه، وبيان سنده في قراءة نافع، ثم تكلم عن فضائل القرآن، ثم بين مصطلحاته ورموزه التي استعملها، ثم عرّف برواة نافع الأربعة وطرقه العشرة، ثم بين من يبدأ له بالقراءة، ثم ختم بفرش الحروف والخلاف فيه آية آية، وحزبا حزبا، من فاتحة الكتاب إلى آخر الناس، وعرضها بطريقة الجمع والإرداف في الآية الواحدة، فيأتي بالقارئ _المقصود بالقارئ هنا صاحب الطريق _ الأول ثم يردف عليه الثاني ثم الثالث، وهكذا مع سائر القراء حتى يقرأ للجميع، مع التنبيه للوجوه التي اندرجت أثناء القراءة[3].

كما أن التبصرة مؤلف نفيس في باب القراءات القرآنية لأنه غني بتحرير الطرق العشرة للأمام نافع، وكيفية جمعها، وهو عمل لا يقوم به إلا الراسخون في العلم، وقد بذل الشيخ في ذلك جهدا كبيرا، حينما تتبع مواضع الخلاف بين الرواة عن الامام نافع آية آية، فقام بفرش هذا الخلاف على أحزاب القرآن الكريم بداية من فاتحة الكتاب إلى منتهاه.

كما أن السند الذي ذكره المؤلف يعتبر غاية في الأهمية لكونه يتصل من طرق جزائرية مغربية خالصة وإلى زمن متقدم، وهو أمر كاد يكون مفقودا في هذا الوقت[4].

---

(1) سمير جاب الله، " الشيخ المقرئ مُحَمَّد بن بلقاسم البوجليلي ومنهجه في كتاب التبصرة "، مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 25، الجزء1، جويلية 2014، ص32.

(2) ينظر: يحي بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1995، ص237.

(3) سمير جاب الله، " الشيخ المقرئ مُحَمَّد بن بلقاسم البوجليلي ومنهجه في كتاب التبصرة "، مرجع سابق، ص20.

(4) المصدر نفسه. ص77.

3. المسائل الصوتية في كتاب التبصرة:

لقد تعرض كتاب التبصرة للشيخ مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي إلى مجموعة من المسائل الصوتية كالإمالة والفتح والهمزات والضم في ميم الجمع والمد المتصل والمنفصل وغيرها، وفي هذا المقام سوف نتعرض لبعض إسهاماته في المسائل الصوتية على وفق ما جاء في علم الأصوات [1] وكيف اعتنى بها صاحب الكتاب؛ اخترنا منها مسألة تتبعناها بالتدقيق والتحليل، ألا وهي مسألة الإمالة، ولما كانت هذه المسألة شديدة الاقتران بمسألة الفتح، إذ لا يمك ن فصلهما عن بعضهما في هذا الباب فقد تطرقنا بعض الشيء إلى الحديث عن الفتح ثم أسهبنا في الحديث عن الإمال ة لأنها المسألة المركزية في هذا المقال؛ وهي مسألة تكلَّم فيها أهل النحو وأهل القراءات وأشارت إليها العديد من الكتب والدراسات الصوتية الحديثة.

1.3. نماذج عن الفتح والإمالة في كتاب التبصرة:

قال صاحب التبصرة في القراءات العشرة:" أهل الإمالة ستة: الأزرق، والعتقي، والقاضي، والواسطي، وابن سعدان، وابن عبدوس"[2].

ونجد الشيخ البوجليلي يكثر من ذكر الامالة وأحوالها عند فرش الخلاف على أحزاب القرآن الكريم، ونذكر بعض الإشارات التي جاءت في كتاب التبصرة على سبيل الايضاح والبيان لا على سبيل التحديد والحصر:

قال رحمه الله في" قوله تعالى:(ونادى أصحب). يجوز إرداف الفتح في (نادى) قبل المد، بل يمد لكل من الإمالة والفتح "[3].

وقال أيضا:" وفي قوله تعالى:(وإذ قال موسى) إلى (ظلمتم)، لا يردف العتقي في (ظلمتم) بل حتى يؤتى له بالإمالة قبل "[4].

---

(1) علم الأصوات علم حديث، لا يتجاوز في حداثته قرنا من الزمان، وقد اتسع اتساعا كبيرا مع التطور العلمي الكبير. حيث استفاد من الأجهزة الدقيقة التي تساعد كثيرا على الوصول إلى نتائج مشجعة في علم لم يكن ممكنا الاستمرار في أبحاثه اعتمادا على الحدس والظن، وهي الطريقة التي كانت تتبع في الوصول إلى حقائق هذا العلم قديما. ينظر: عبد العزيز الصيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 2000، ص16.

(2) مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي، المصدر السابق، ص108.

(3) المصدر نفسه، ص126.

(4) نفسه.

وقال رحمه الله:" وقوله تعالى:(الحيوة الدنيا بالآخرة) يندرج فيه العتقي لما مر، ولا يردف أهل الإمالة في (أولئك) على المروزي "[1].

وأضاف– رحمه الله–:" وقوله تعالى:(مصلى) فيه ثلاثة أوجه وقفا: التفخيم للأخوين، والإمالة لهما، ويندرج فيها أهلها، والفتح بلا تفخيم لأهله "[2].

ثم يتكلم عن" حكم الإمالات المتوالية "[3]. حيث يقول رحمه الله:" يجوز في (وآتى) هذا ونحوه أن يؤتى فيه بأوجه الامالة متوالية، ثم أوجه الفتح كذلك "[4]. وإذا نظرنا إلى هذه الأمثلة وغيرها كثير عند الشيخ البوجليلي فإنها تدل بذاتها على قدم الشيخ الراسخة في بحث مختلف الظواهر الصوتية في القرآن الكريم. بل إننا نجده يرجع كل مذهب لأصحابه.

3. 1. 1. الفتح:

الفتح والإمالة لغتان صحيحتان، نزل بهما القرآن وقرأ بهما رسول الله ﷺ، والجمهور على أن الفتح هو الأصل، لأن الإمالة بحاجة إلى سبب بخلاف الفتح.

والفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ([5]).

والفتح نوعان: شديد ومتوسط.

أ– **شديد**: يفتح فيه المتكلم فاه فتحاً شديداً، وهذا لا وجود له عند العرب ولا يقرأ به القرآن.

ب– **متوسط**: وهو المستعمل عند العرب، وهو الذي يقرأ به القرآن. (6)

3. 1. 2. الإمالة:

فالإمالة أن تنطق بالفتحة قريبة من الكسرة، وبالألف قريبة من الياء كثيرا، وهي المحضة، ويقال لها: الكبرى، والإضجاع، وهي المراد عند الإطلاق، وقليلا، ويقال لها التقليل، وبين بين، والصغرى، وهي المراد ببين اللفظين.

---

(1) المصدر نفسه، ص128.

(2) نفسه.

(3) محمد بن أبي القاسم البوجليلي، المصدر السابق، ص130.

(4) نفسه.

([5])ينظر: مصطفى أكرور، مرجع سابق، ص 76.

(7) نفسه.

أ- **فالكبرى**[1]: تكون متناهية في الانحراف إلى الكسرة أو الياء وهذه لا وجود لها في رواية ورش إلاّ في الهاء من (طه) فقط على المشهور، وروي عنه فيها في بعض الطرق الفتح والإمالة الصغرى.

ب- أمّا الإمالة الصغرى أو التقليل بين بين: فهي بين الفتح المتوسط والإمالة الكبرى، وهي المروية عن ورش في القرآن كلّه وفق التفصيل الآتي:

أولاً- الألف الأصلية المتطرفة المنقلبة عن ياء تخفيفاً:

- إذا كان قبلها راء مثل (القرى)، (اشترى)، (ذكرى) فهذه تقلل وجها واحداً.

- وإذا كان قبلها غير راء مثل (الهدى)، (رمى)، (عسى)، (دنيا)، فهذه فيها الوجهان: الفتح والتقليل.

ويستثنى من ذلك رؤوس الآي[2] ففيها التقليل فقط، إلاَّ إذا اتصلت بها هاء المؤنث فالوجهان، إلاَّ (ذكراها) فالتقليل فقط لأجل الراء.

ثانيا- الألف المتطرفة المنقلبة عن واو المرسومة ياء:

نحو:(دحيها)، (ضحى) ففيها الوجهان: الفتح، والتقليل.

يستثنى من ذلك:

1- كلمة (زكى) بالنور، فليس فيها إلاَّ الفتح.

2- رؤوس الآي مثل (العلى)، (سجى)، ففيها التقليل فقط إلاَّ إذا اتصلت بها هاء المؤنث ففيها الوجهان كاليائية.

ثالثاً- ما جُهل أصل الألف فيه: نحو:(متى)، (بلى)، (أنَّى)، ففيه الوجهان. باستثناء أربع كلمات تفتح اتفاقاً وهي:(حتى)، (على)، (إلى)، (لدى).

رابعاً- الألف المتوسطة التي يليها راء متطرفة، وكانت متصلة بالألف ومكسورة كسرة إعراب فهذه تقلل قولا واحداً. ولو اتصل بالراء ضمير وميم الجمع وقفاً ووصلاً، ولو سبق الألف حرف استعلاء. ومثال ذلك (الأبرار)، (النهار)، (ديارهم)، (هار)، (أبصارهم)، (أقطارها).

يستثنى من ذلك كلمة (الجار) في موضعين بسورة النساء فيجوز فيها الوجهان.

---

(1) الإمالة الكبرى يعبر عنها بعضهم بالمحضة، وبعضهم بالبطح، وبعضهم بالإضجاع.

(2) رؤوس الآي التي تمال لورش وجهاً واحداً مجموعة في إحدى عشرة سورة وهي:(طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، العلق).

خامساً– لفظ (الكافرين)، المنصوب والمجرور بالياء يقلل بلا خلاف. وسواء وقع معرفاً أم منكَّراً.

سادساً– لفظ (جبارين) يجوز فيه الوجهان.

سابعاً– لفظ (التوريه) حيث وقع.

ثامناً– الحاء والراء والياء والهاء من فواتح السور تمال بين بين، إلاَّ الهاء من (طه) فقط فإنها تمال إمالة كبرى كما سبق، وإلاَّ الياء من (يس) فلا إمالة فيها عند الجمهور.

3. 1. 3. الإمالة عند ورش:

لم تظهر الإمالة المحضة (الكبرى) في رواية ورش إلى في حرف الهاء من فاتحة سورة (طه).

وأما ما جاء في هذا الباب من غير هذا الموضع فهو بالإمالة (بين بين). وما جاء ممالاً لدى نافع يتمثل في الآتي:

1– كل ألف متطرفة أصلية منقلبة من ياء تحقيقاً أو ألحقت بها– وهو ما يسمى بذوات الياءات نحو: الهدى والهوى والضحى، واصل هذه الإمالة الإشعار بالأصل اليائي.

2– كل ألف متطرفة متصلة براء قبلها وهي ما يعرف بذوات الرَّاءات نحو: اشترى والبشرى والكبرى.

3– كل ألف وقعت قبل راء متطرفة أصلاً وجاءت مكسورة كسرة أصلية نحو: كتاب الأبرار، وكتاب الفجار، وفي النهار. ووجه هذه الإمالة المناسبة بين الألف والكسرة.

4– وجاءت عن نافع الإمالة (بين بين) في بعض الحروف التي وقعت فواتح للسور، وهذه الحروف هي: الهاء والياء الواقعتان في فاتحة سورة مريم (كهيعص)، والحاء الواقعة فاتحة للسور المستهلة بـ (حم) والرَّاء الواقعة فاتحة للسور: يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحِجْر.

قال أبو شامة[1]: «وإنما أميلت– يعني الحروف المقطعة– لأنها أسماء ما يلفظ به من الأصوات المتقطعة، وقد أمالوا الألف في النداء وهي حرف، فإمالة هذه الأسماء أولى»[2].

---

(1) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم الدمشقي، حجة في القراءات، حافظ للفنون، له مصنفات عدة منها شرح الشاطبية توفي سنة 665هـ، ينظر: أبو الخير شمس الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الدمشقي ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط1، 1932، 365/1 -366.

(2) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة: إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق وتعليق: محمود عبد الخالق جادو، الجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط1413هـ/ 1993م، 215/3.

5- كل راء أميلت راء بعدها نحو:(الابرار)، ووجه هذه الإمالة المناسبة بين الراءين، كما هو الحال في لفظ (رَءَا).

6- وفي بعض الكلمات الفرشية وهي: الكافرين وجبارين حيث وقعتا في القرآن الكريم، وهما كلمتان مخصوصتان بحيث لا يشمل حكم الإمالة ما اشتق منهما نحو: الكافرون والكافر ووجه هذه الإمالة واضح بأنه المناسبة بين الألف والكسرة، وربما جاز في الكلمة الواحدة الوجهان: الفتح والتقليل وذلك للجمع بين اللغتين، إلا أنه لا يجوز العدول عن أحدهما إلى الآخر إلا عن طريق الرواية.

4. مذاهب القراء في الفتح والإمالة والتقليل:

ذكر أستاذنا الدكتور مصطفى أكرور مذاهب القراء في الفتح والإمالة والتقليل، فجعلها مذاهبَ خمسة على النحو الآتي[1]:

1. قسم ليس له إمالة في القرءان الكريم أبدا، وهو الامام ابن كثير وحده.
2. قسم أمال بقلة، وهم: ابن عامر وعاصم وقالون.
3. قسم مذهبه التقليل وهو ورش وليس له إمالة كبرى في القرآن إلا الهاء في لفظ (طه) أول سورة طه.
4. قسم متردد بين التقليل والامالة، وهو أبو عمرو البصري.
5. قسم أمال إمالة كبرى بكثرة، هما حمزة والكسائي.

5. التحليل الصوتي للإمالة:

إن ظاهرة الانسجام الصوتي ميزت اللسان العربي أيما تمييز، وتجلت هذه الظاهرة في تأثير أصوات حروف الكلمة الواحدة بعضها في بعض تفخيماً وترقيقاً، فتحاً وإمالة، إدغاماً وإظهاراً... وقد حاول العرب أن يتجنبوا النطق بكلمات تحتوي أصواتاً متنافرة، وكانت أحسن الأصوات عندهم المتجانسة[2].

والإمالة عندهم بنوعيها (كبرى وصغرى) تمثل إحدى مظاهر هذا الانسجام الصوتي لدى العرب، حيث يُقَرَّبُ بها صوت الألف أو الفتحة الواقع في الكلمة لصوت الياء أو الكسرة الواقع في الكلمة ذاتها.

(1) مصطفى أكرور، حلية التلاوة، دار النجاح للكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص76.

(2) رابح دفرور، الظواهر اللغوية في قراءة نافع المدني، دار البلاغ، الجزائر، 2007، ص46.

وقال سيبويه مشيراً إلى عملية التقريب والتجانس هذه: «... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها ليقربوها منها» (1).

وقال الشيخ المارغيني: «والغرض الأصلي من الإمالة هو تناسب الأصوات وتقاربها لأن النطق بالياء والكسرة مستفل، وبالفتحة والألف متصعد، وبالإمالة تصير الأصوات على نمط واحدٍ من التَسَفُّل والانحدار» (2).

وقال مُحَمَّد الأنطاكي مبيناً هذه الحقيقة: « وليست الإمالة في حقيقتها إلا شكلاً من أشكال ظاهرة التماثل، فكما اجتمعت فتحة وكسرة أثرت الأولى في الثانية فحولتها إلى إمالة ...» (3).

وكيفية إصدار صوت الألف أو الفتحة الممالتين من الجهاز الصوتي تكون بإحداث صوت طليق من خلال ارتفاع مقدمة اللسان نحو منطقة الغار– أي الجوف– ارتفاعاً يزيد على ارتفاعه مع الفتحة المرققة ويقل عن ارتفاعه مع الكسرة، من غير إشباع مفرط وقلب خالص، وإنما بينهما. وأمَّا التي أُميلت بين بين فإن مقدمة اللسان ترتفع عندها إلى حدٍ تكون فيها بين موضعها عند الإمالة الكبرى وبين موضعها عند الفتحة المرققة.

ومن هنا يمكن تقسيم الأصوات حسب ارتفاع مقدمة اللسان وانخفاضها إلى أقسام خمسة هي: الفتحة المفخمة والفتحة المرققة والإمالة (بين بين) والإمالة الكبرى والكسرة الخالصة(4).

6. خلاصة:

من خلال ما ذكر ندرك أن القرآن الكريم إنما أنزل بلغات العرب عامة؛ على اختلاف الظواهر اللغوية التي تمتاز بها لغة قبيلة عن أخرى، والإمالة إحدى هذه الظواهر التي نزل بها القرآن الكريم، وقد اعتنى بها القراء، وصنفوا فيها الكتب والرسائل. وقد أشار علماء العربية إلى مسألة الفتح والإمالة على أنها من المسائل الصوتية المهمة في كتب التجويد، لذلك فقد خصوها بالعناية والدرس، وكذلك فعل المتأخرون

(1) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975، 4/ 117.

(2) إبراهيم المارغيني، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1415هـ، 1995م، ص116.

(3) مُحَمَّد الأنطاكي، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، ط3، 1971، ص132.

(4) رابح دفرور، مرجع سابق، ص47.

ومنهم الشيخ البوجليلي في كتابه التبصرة، الذي أخذنا منه بعض النماذج للاستشهاد بها في هذا المقال الذي أردنا أن يكون بداية لسلسلة من الدراسات تعنى بالصوتيات التجويدية في كتب العلماء الجزائريين ممن اهتموا بعلمي التجويد والقراءات، إكراما لهم على ما قدموا من جهد جهيد في خدمة كتاب الله والعلوم التي خدمت كتاب الله.

وقد ظهر لنا أن علماء الجزائر قد أسهموا بنصيب أوفر مع غيرهم من العلماء في مجال علم الأصوات الحديث على غرار الشيخ البوجليلي والدكتور التواتي بن تواتي والدكتور عبد الرحمان الحاج صالح وغيرهم كثير، ممن ينتظرون من يأتي من الباحثين فينثر الغبار عن جهودهم ويخرج كتبهم من مخابئها ويقدم كنوزها لطلبة العلم حتى يستفيدوا مما فيها من درر ونفائس.

7. خاتمة:

يتجلى اهتمام علماء الجزائر بالصوتيات التجويدية من خلال ما تركوه من مؤلفات في علمي القراءات والتجويد، حيث قمنا باختيار أنموذج لعالم جزائري اشتغل بهذا المجال، ألا وهو الشيخ ابن أبي القاسم البوجليلي، في كتابه" التبصرة في قراءة العشرة "، وحاولنا استكشاف بعض المسائل الصوتية التي ذُكِرت فيه. وقد اقتصرنا بالدرس على مسألة صوتية هي: الإمالة، فوصفنا من خلالها بعض معالم الصوتيات التجويدية عند علماء الجزائر، وتوصلنا إلى نتائج نوجزها كما يلي:

– إن الاهتمام بالتراث الجزائري المكتوب من شأنه أن يفرج عن مكنونات بديعة في علوم شتى ألف فيها علماء الجزائر، ولا تزال حبيسة المكتبات الخاصة، ولم تخرج إلى العلن، وعلى الباحثين العمل على إيجادها وإيصالها لطلبة العلم حتى لا تندثر وتضيع دون الاستفادة منها، وهو ما حاولنا القيام به من خلال هذه الدراسة العلمية لمسألة الإمالة المبثوثة في طيات كتاب التبصرة للشيخ البوجليلي.

– إن في كتب القراءات والتجويد الكثير من القضايا والمسائل الصوتية التي تحتاج إلى دراسة وبحث؛ ولعل طلبة الدراسات العليا في الجامعات في حاجة ماسة إلى هذه المواد للاستفادة منها كمواضيع لبحوثهم لأصالتها ودقتها.

– يقع على الباحثين في مجال اللغة العربية بشكل عام العمل على إسقاط مختلف العلوم الحديثة على تراثنا المطبوع والمخطوط، للتعرف على مدى إسهام علمائنا في الرقي بالعلوم بحسب ما أتيح لهم من إمكانات، وهذا لإظهار جهودهم المميزة في تقعيد العلوم والسبق في الإشارة إلى كثير منها قبل أن تستوي

وتظهر بشكلها الحالي كعلم الأصوات الحديث الذي تعرض لبعض إرهاصاته كثير من علماء النحو والقراءات.

– إن مجال الدرس الصوتي مجال خصب للبحث والتأليف ما يزال يحتاج إلى جهود فردية وجماعية حتى تتوثق معالمه وتظهر ملامحه، وعلينا جميعا كباحثين التنقيب عن سبل تتكفل بتوضيح معالم الدراسة الصوتية في بلاد المغرب العربي والدراسات الصوتية بالجزائر خصوصا في مؤلفات علمائنا القدامى والمحدثين.

– الفتح والإمالة لغتان صحيحتان، نزل بهما القرآن وقرأ بهما رسول الله ﷺ، والجمهور على أن الفتح هو الأصل، لأن الإمالة بحاجة إلى سبب بخلاف الفتح، وإن إسقاط علم الأصوات عليهما من شأنه أن يوضح قوة العبارة القرآنية وارتفاع مكانتها في ميزان اللغة.

– إن الإمالة عند العرب بنوعيها (كبرى وصغرى) تمثل إحدى مظاهر الانسجام الصوتي، وهو ميزة اللفظ القرآني الذي يعد المعجزة الكبرى للنبي مُحَمَّد ﷺ في زمن كان فيه التباهي بفصيح الكلام من شعر ونثر علامة على التحكم الكمال. وتُعدُّ ظاهرة الانسجام الصوتي مِيزتَ اللسان العربي حيث تجلت هذه الظاهرة في تأثير أصوات حروف الكلمة الواحدة بعضها في بعض تفخيماً وترقيقاً، فتحاً وإمالة، إدغاماً وإظهاراً.

وفي الأخير؛ فإننا ندعو إلى تكاثف جهود الأفراد والهيئات للعمل على توسيع البحث ونشر الدراسات الصوتية الجزائرية درسا وتأليفا.

8. قائمة المراجع:

الكتب:

1. ابن الجزري(أبو الخير شمس الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد الدمشقي)، (1932)، غاية النهاية في طبقات القراء، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط1.
2. إفرحاتن(نور الدين)، (1439هـ/ 2018م)، اللآلئ العطرة للتنبيه على مسائل مهمة في رواية ورش المتواترة، دار الإمام مالك، ط2.
3. أكرور(مصطفى)، (2010)، حلية التلاوة، دار النجاح للكتاب للنشر والتوزيع.

4. الأنطاكي(مُحَمَّد)، (1971)، المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي ، بيروت، ط3.
5. البوجليلي(مُحَمَّد بن أبي القاسم الحسيني)، (2013)، التبصرة في قراءة العشرة دراسة وتحقيق: حسين وعليلي، دار ابن حزم، بيروت.
6. بوعزيز(يحي)، (1995)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1.
7. دفرور(رابح)، (2007)، الظواهر اللغوية في قراءة نافع المدني، دار البلاغ، الجزائر.
8. سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، (1975)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
9. أبو شامة(عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم)، (1413هـ/ 1993م)، إبراز المعاني من حرز الأماني، تحقيق: محمود عبد الخالق جادو، الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة.
10. الصيغ(عبد العزيز)، (2000)، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1.
11. المارغيني(إبراهيم بن أحمد)، (1415هـ، 1995م)، النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

المقالات:

1. سمير جاب الله، " الشيخ المقرئ مُحَمَّد بن بلقاسم البوجليلي ومنهجه في كتاب التبصرة "، مجلة حوليات جامعة الجزائر1، العدد 25، الجزء1، جويلية 2014، ص32،
2. سمير جاب الله، الفقيه المقرئ مُحَمَّد بن بلقاسم البوجليلي وآثاره العلمية، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد 27، العدد 3، جويلية 2013،، صص 302-304.
3. علي أمقران السحنوني، مُحَمَّد بن أبي القاسم البوجليلي .. المعلم والمقرئ، جريدة العقيدة، العدد 72، الأربعاء 25 ديسمبر 1991.